نهاية إسرائيل

في

القرآن الكريم

المهندس عدنان الرفاعي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ

.. إنّ الحديث عن الغيبيات يحمل مجازفةً بحقيقة إدراكنا للمقدمات التي ننطلق منها في الحديث عن تلك الغيبيات ، وبمصداقيّتها .. وفي الوقت نفسه يحمل – هذا الحديث – إدراكاً عميقاً لفهم تلك المقدّمات إذا ما تمّ تحقّق هذه الغيبيّات وفق الصورة التي نتوقّعها ..

.. وإذا ما كانت بين أيدينا مقدّمات ثابتة حول مسألةٍ ما ، فيصبح التنبّؤ بالغيبيّات المتعلّقة بتلك المقدّمات متعلّقاً بإدراك هذه المقدّمات ، وأكبرَ احتمالاً للتحقّق ، وبالتالي تصبح إمكانيّة تحقّق هذه الغيبيّات أبعد ما تكون عن التخمين ، وأقرب ما تكون إلى الواقع ..

.. وفي حديثنا عن نهاية الكيان الإسرائيلي ، لا نرى مقدّماتٍ أوثق من القرآن الكريم للانطلاق منها نحو تصوُّر نهاية الصراع مع هذا الكيان ..

.. وتقع على فهمنا وإدراكنا لدلالات النصوصِّ القرآنيّة مسؤوليةُ المجازفة بإطلاق أيِّ نتيجةٍ غيبيّة ، فما يربط النتيجةَ الغيبيّة التي نصل إليها مع المقدّمات المطلقة اليقين (النصوص القرآنيّة) هو إدراكنا لدلالات هذه النصوص ، ولمعانيها ، وبالتالي فالمجازفة واحتمال الخطأ ينحصران في ساحة إدراكنا لما تحمله هذه النصوص من دلالات ..

ونحن في هذا البحث لا نجزم جزماً قاطعاً بأيِّ عامٍ ينتهي فيه هذا الكيان .. أبداً .. نحن نقرأ آيات كتاب الله تعالى وفق معايير لغويّة ، ووفق عمقٍ فلسفي مادّته إدراكنا لآيات كتاب الله تعالى ، وقالبه الفكر والعقل المجرَّد .. نحن نقرأ ما وراء السطور وما تحت الكلمات وبشكلٍ مجرَّد عن أيِّ تصوّر مسبق الصنع .. بهذا البحث نعرض رؤيا ، نضعها بين يدي القارئ ، كمحاولة لاستشفاف ما وراء الواقع الذي نشهد أحداثه بأعيننا ..

.. في البداية نقول .. المرحلة التي تمرّ بها الأمّة ، هي مرحلة مؤرّخة قرآنيّاً ، حيث صوّرها القرآن الكريم في مكانين من سورة الإسراء ..

﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴾ [الإسراء : ٧] ..

﴿ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ [الإسراء : ١٠٤] ..

.. العبارة القرآنية ﴿ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ ﴾ في هاتين الصورتين القرآنيّتين تتعلّق بالحياة الدنيا قبل قيام الساعة ، وتتعلّق بفترة زمنيّة واحدة .. فقول الله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ ، هو مقدّمة للنتيجة التي تُصوِّرها الصورة القرآنيّة : ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴾ ..

.. وقول بعض المفسِّرين بأنّ وعد الآخرة بالنسبة لدخول المسجد الأقصى قد تمَّ سابقاً (قبل الإسلام حينما قَتَل اليهودُ يحيى عليه السلام) ، وأنَّ وعد الآخرة بالنسبة للمجيء لفيفا هو بعد قيام الساعة ، هما قولان يتعارضان مع حقيقة الدلالات التي تحملها هاتان الصورتان القرآنيّتان ، ومع حقيقة ما يحمله القرآن الكريم بشكلٍ عام ..

.. والنصُّ القرآنيُّ الذي سننطلق منه في دراستنا للتنبُّؤ بنهاية هذا الكيان ، هو النصّ القرآنيّ التالي ، والوحيد في القرآن الكريم الذي يصوّر هذا الأمر ..

﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴾ [الإسراء : ٤ – ٨] ..

.. هذا هو النصّ الوحيد في القرآن الكريم الذي يصوّر إفساد بني إسرائيل الذي نعيش أحداثَه الآن ، بالإضافة للآية (١٠٤) من سورة الإسراء كما أسلفنا : ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ ، ولذلك ستنحصر مقدّمات تنبئنا في هذا النصّ القرآنيّ بالذات ..

.. إنّ محتويات الأحكام والأخبار التي يحملها هذا النصّ ، قد أعلمها الله تعالى لبني إسرائيل في كتابهم ، كما تؤكّد لنا بداية هذا النص : ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ ﴾ .. ولذلك فالخطاب الذي يصوّره الله تعالى لنا في هذا النصّ ، هو خطابٌ

وجَّهَه تعالى إلى بني إسرائيل في كتابهم ، وأعلمهم حتى بالنتيجة التي سيؤولون إليها نتيجة إفسادِهِم ..

والصورة القرآنيّة : ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ﴾ ، تُبيّن لنا أنّ إفساد بني إسرائيل في هاتين المرتين سينتشر في الأرض كافّة ، وبالتالي لن تكون هناكَ أمةٌ خارج تبعات هذا الفساد ..

.. وإذا ما نظرنا الآن إلى كلِّ ما يجري على الأرض من فسادٍ ومن انحطاط في القِيَم ومن فتنٍ ومآسٍ وحروبٍ وأزماتٍ اقتصاديّة ، فسنرى أن لهذا الكيان يداً في كلّ ذلك ..

.. وهذا الفساد الذي يُلقون بذورَه في الأرض ويرعونه ، هو وسيلتُهُم الوحيدة للعلوِّ في هذه الأرض ، وهذا ما تحمله الصورة القرآنية : ﴿ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ ، فهؤلاء لا يعلون إلاّ على أرض الفساد ، وفي مُناخ الفتن والحروب والمآسي وانحطاط القِيَم والأخلاق .. وقد بيّن القرآن الكريم صفتَهم هذه في أكثر من موقع ، عبر تصوير سيرتهم مع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ، وعبر وصفهم المجرّد عن هذه السيرة ..

.. ويتابع النصُّ القرآنيُّ الحديثَ عن إفسادِهِم الأوَّل الذي قاموا به قبل نزول النصّ القرآني ، وكيف أنّ الله تعالى بعث عليهم عباداً له أولي بأسٍ شديد .. ومن المعلوم والثابت تاريخياً أنّ هؤلاء العباد الذين وضعوا حداً لإفساد بني إسرائيل في المرّة الأولى هم بقيادة نبوخذ نصر سنة (٥٨٦) قبل الميلاد ..

﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً ﴾ ..

.. وما تراه في هذه الصُّورة القرآنيّة المُصوِّرة للإفساد الأوّل :

﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً ﴾ ..

.. أنَّ الفعل : ﴿ بَعَثْنَا ﴾ والفعل : ﴿ فَجَاسُواْ ﴾ يردان بصيغة الماضي ، وأنَّ نهاية هذه الآية الكريمة هي العبارة القرآنيّة : ﴿ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً ﴾ ..

.. بينما في الصُّورة القرآنيّة المصوِّرة للإفساد الثاني ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا ﴾ نرى أنَّ الأفعال : [[﴿ لِيَسُۥٓـُٔواْ ﴾ ، ﴿ وَلِيَدْخُلُواْ ﴾ ، ﴿ وَلِيُتَبِّرُواْ ﴾]] ترد بصيغة المضارع .. وفي هذا إشارةٌ إلى أنَّ أحداث الإفساد الأوَّل لبني إسرائيل قد وقعت قبل نزول القرآن الكريم ، وأنَّ أحداث الإفساد الثاني لبني إسرائيل ستقع بعد نزول القرآن الكريم ..

.. وكعادة اليهود في تزييف الحقائق ، فقد استطاعوا أن يُقنعوا الكثيرين من أنّ نبوخذ نصر وجيشَه كانوا وثنيين من عبدة الأصنام ، مع أنَّ القرآن الكريم يُبيِّن لنا أنّ الذين بعثهم الله تعالى لوضع حدٍ لإفساد بني إسرائيل في المرّة الأولى هم عبادٌ لله تعالى : ﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ ﴾ ، فهل يُعقَل أنّ الله تعالى يصف الوثنيين وعبدة الأصنام بأنهم عبادٌ له سبحانه وتعالى ؟!!.. أليست كلمة ﴿ لَّنَآ ﴾ هنا تؤكِّد أنَّ العبوديّة المعنيّة في هذه العبارة القرآنيّة ﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ ﴾ هي لله تعالى ؟ ..

.. لماذا لا يكون نبوخذ نصر وجيشه من أتباع رسالة يونس عليه السلام ، وخصوصاً أنّ يونس عليه السلام أُرسل إلى المنطقة التي خرج منها نبوخذ نصر بجيشه ، بفترة ليست كبيرة نسبياً ؟ .. وخصوصاً أنّ القرآن الكريم يُبيّن لنا أنّ قوم يونس قد آمنـــوا ، وأنهـــم القرية الوحيدة التي نفعَهَا إيمانُها في كشف العذاب :

﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [يونس : ٩٨] ..

.. ويتابع القرآن الكريم تصوير ما قضاه الله تعالى لبني إسرائيل في كتابهم : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾ ..

إنّنا نرى أنّ هذه الصورة القرآنية تبدأ بالعبارة ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ﴾ ، و لم يقل الله تعالى ((**فرددنا لكم الكرة عليهم**)) .. فكلمة ﴿ ثُمَّ ﴾ – كما نعلم – تُفيد التراخي في الزمن إذا ما قورنت مع حرف الفاء الذي يفيد التعقيب ..

.. وهكذا .. بعد تدميرهم نتيجة إفسادهم الأوّل ، وبعد زمنٍ طويلٍ أصبحوا من أصحاب الأموال والبنين ، لإمتحانهم عبر إفسادهم الثاني الذي نعيش أحداثه منذ حوالي نصف قرن ..

﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ لِيَسُٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴾ ..

.. ولا بدّ هنا من الإشارة إلى أنّ الكثير من التفاسير ذهبت إلى أنّ الإفساد الثاني حصل قبل الآن ، بل قبل نزول القرآن الكريم ، حينما قُتل يحيى عليه السلام على يد اليهود .. وهذا المذهب من التفسير يتعارض تماماً مع حيثيات دلائل هذه الصورة القرآنية بشكلٍ خاصٍّ ، ومع حيثيات دلائل القرآن الكريم بشكلٍ عام ..

.. إنَّ ما يميّز الإفساد الثاني ، هو أنّه مُرتبطٌ بوعد الآخرة ، كما يُبيّن القرآن الكريم : ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ لِيَسُٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴾ ، وفي هذا الوعد سيجيئون لفيفاً ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ ، وهذا لم يحدث إلاّ في إفسادهم الحالي ، كما نرى بأمِّ أعيننا ..

.. وكلمة ﴿ ٱلْأَخِرَةِ ﴾ في هذه الصورة القرآنيّة لا يمكن الجزم بأنّها لا تعني إلاّ إفسادهم الثاني ، فلو كانت كذلك لأتت على الشكل : (**فإذا جاء وعد ثانيهما**) ، مقارنة مع الصيغة القرآنية التي تصور إفسادهم الأوّل : ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا ﴾ .. هي تعني الإفساد الثاني ، ولكنّها تعني أيضاً اقتراب الساعـــة ، ودليلنا في ذلك –كما رأينا في النظرية الأولى (المعجزة) – أنّ كلمة الآخرة ترد في كتاب الله تعالى (١١٥) مرّة ، بورودٍ مناظر تماماً لكلمة الدنيا المناظرة تماماً لكلمة الآخرة ، فكلمة الدنيا ترد أيضاً (١١٥) مرّة .. وهكذا فالعبارة القرآنية ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ ﴾ تعني – من جملة ما تعنيه – فإذا اقترب قيام الساعة ..

.. ودليلٌ آخر على أنَّ إفسادهم الثاني هو الذي يشهده هذا الجيـــل ، هـــو أنّـــه في إفسادهم الثاني سيتمُّ دخول المسجد الأقصى ، دخولاً مماثلاً تماماً لدخول المـــرّة الأولى : ﴿ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا ﴾ ، وقد رأينا في النظرية الأولى (المعجزة) أنّ هناك تناظراً تامّاً بين ركني هذه المسألة ..

﴿ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ ﴾ = (١٤) حرفاً مرسوماً

﴿ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ = (١٤) حرفاً مرسوماً

.. وفي هذا التناظر التام – كما نرى – دليلنا على أنّ ما حدث في إفســـادهم الأوّل من تدميرٍ لبني إسرائيل سنة (٥٨٦) قبل الميلاد على يد جيش نبوخذ نصر ، ومن تدمير لهيكلهم المزعوم ، سيحدث تماماً وبشكلٍ مناظر له تماماً في إفسادهم الثاني (الحالي) .. فسيتمّ – إن شاء الله تعالى – تدمير هيكلهم المزعوم الذي يحاولون الآن بنـــاءه مكـــان المسجد الأقصى تماماً .. وهذا التدمير للهيكل بهذه الحيثيّة المذكورة في النصِّ الكـــريم ، لم يحدث لا زمن قتل يحيى عليه السلام على يد اليهود ، كما تذهب معظم التفاســـير ، ولا زمن طردهم من المدينة المنوّرة زمن الرسول ﷺ ..

.. السبي الروماني لبني إسرائيل ، لا يمكن اعتباره الحدث المتزامن مع إفسادهم الثاني المعني في القرآن الكريم .. ففي إفسادهم الأوّل تمّ تدميرهم على يد جيش نبوخذ نصـــر ، وفي إفسادهم الثاني (الحالي) يقول تعالى : ﴿ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ ، فالفاعل في كلمة ﴿ وَلِيَدْخُلُوا ﴾ يعني القوم ذاتَهم الذين يشير إليهم الفاعل في كلمة ﴿ دَخَلُوهُ ﴾ ، فالقوم الذين دخلوا أوّل مرّة ، هم ذاتهم (كقوم) الذين سيدخلون في المرّة الثانية .. والذين دخلوا في المرّة الأولى – من الشرق كما نعلم – ليسوا رومانياً ..

.. ولا يمكن اعتبار طرد الرسول ﷺ لليهود ، الحدث المتزامن مع إفسادهم الثـــاني ، فإفسادهم الثاني ساحته (الجغرافيّة) هي ذاتها ساحة إفسادِهم الأوّل ، وهـــي في بيـــت المقدس ، وفي إفسادهم الثاني سيتمّ تدمير ما يبنونه مكان المسجد الأقصى ، تدميراً مماثلاً تماماً للحيثيّة التي تمّت في إفســـادهم الأوّل : ﴿ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ ، وكلّ ذلك لم يحدث زمن طرد الرسول ﷺ لهم ..

.. وقول بعضهم بأنَّ الإفساد الأوَّل (أو الثاني على قول بعضهم الآخر) وقع في الجيل الأوَّل ، عندما دخل عمر بن الخطَّاب بيت المقدس ، ليس صحيحاً على الإطلاق .. فالنصُّ يعني بني إسرائيل حصراً ، وليس النصارى : ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ ﴾ ، وعمر بن الخطّاب دخل بيت المقدس ليس على بني إسرائيل ، وإنّما على النصارى .. وفيما يلي اقتباس من النص المعروف بالعهدة العمريّة :

((بسم الله الرحمن الرحيم .. هذا ما أعطى عبد الله ، عمر ، أمير المؤمنين ، أهل إيلياء من الأمان ، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها . أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ، ولا ينقص منها ولا من حيّزها ولا من

صليبهم ولا من شيء من أموالهم ، ولا يُكرهون على دينهم ، ولا يضارّ أحد منهم ، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود.....)) ..

.. فما علاقة بني إسرائيل بذلك ؟ .. وكيف يربطون دخول عمر بن الخطاب على مدينة القدس بأحد إفسادي بني إسرائيل ؟ ..

.. الذين وضعوا حدًّا لإفساد بني إسرائيل الأوَّل يصفهم الله تعالى بقوله : ﴿ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ : ﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ .. وهذه العبارة : ﴿ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ ، ترد – إضافة للنصِّ قيد البحث – مرَّتين في كتاب الله تعالى ، مرَّة بصيغة الرفع ، حيث يصف البشر أنفسهم بهذه الصفة ..

﴿ قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾ [النمل : ٣٣]

.. ومرَّة (بصيغة مطابقة للصيغة الواردة في الآية الكريمة قيد البحث) ..

﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الفتح : ١٦] ..

.. وفي إفسادهم الثاني المرتبط بوعد الآخرة : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴾ ، سيجيئون لفيفاً من كلِّ الأرض : ﴿ وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ ، فالعبارة القرآنيّة ﴿ وَعْدُ الْآخِرَةِ ﴾ لم ترد في كتاب الله تعالى إلاّ في هاتين الصورتين القرآنيّتين ..

.. وإن كان إفسادهم الثاني المعني في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا ﴾ ، قد حدث سابقاً كما تذهب معظم التفاسير ، فماذا نُسمّي إفسادَ بني إسرائيل الذي نراه بأمّ أعيننا ، في فلسطين المحتلّة بشكلٍ خاصٍّ ، وفي الأرض بشكلٍ عام ؟!!! ..

.. ولقائل أن يقول : كيف نُسمّي هيكلهم المزعوم المُفترض أن يتمَّ بناؤه مكان المسجد الأقصى ، والذي سيُدَمَّر كما دُمِّر أوّل مرّة ، كيف نُسمّيه مسجداً : ﴿ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ ، في الوقت الذي يبنون فيه هيكلهم مكان المسجد الأقصى ، وبالتالي إزالة بناء المسجد الأقصى ؟!!! .. أي كيف يكون المسجد مسجداً بعد إزالته وبناء هيكلِهم المزعوم مكانه ؟! ..

.. نقول : إنّ عبارة ﴿ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾ لا تعني البناء ، إنّما تعني الأرض المقدّسة التي يتمّ عليها إنشاء هذا البناء ، فمهما كان البناء فوق هذه الأرض المقدّسة التي بارك الله تعالى حولها ، لا يغير ذلك من تسمية هذه البقعة المقدّسة ب ﴿ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾ .. ومن الأدلّة على ذلك ، أنّ الله تعالى سمّى هذه البقعة المباركة بالمسجد الأقصى حينما أُسري برسول الله ﷺ إلى هذه البقعة ، قبل فتح القدس بفترة ليست قليلة نسبيّاً :

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١]

ودليل آخر .. أنّ البيت الحرام الذي رفع قواعدَه إبراهيمُ وإسماعيلُ عليهما السلام : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٧] ، هو بيت الله تعالى قبل ذلك ..

﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم ..... ﴾ [إبراهيم : ٣٧]

... فإسماعيل عليه السلام الذي شارك أباه في رفع القواعد من البيت كان رجلاً يحمل الحجارة ، وفي الوقت ذاته نرى أنّ القرآن الكريم سمّى هذا المكان بالبيت المحرَّم حين وضْع إبراهيم لابنه إسماعيل عليهما السلام وهو طفل .. أي أنّه سمّاه بالبيت المحرَّم قبل رفْع قواعد بنائه ..

.. والقرآن الكريم يؤكد هذه المسألة في مكان آخر ..

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٩٦]

.. فمكان البيت المحرَّم اسمُه البيت المحرَّم ليس قبل رفع قواعد بنائه من قبل إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام فحسب ، وإنّما منذ آدم عليه السلام ..

.. إذاً سيقوم الفاتحون – إن شاء الله تعالى – بدخول المسجد الأقصى فاتحين مدمّرين ما يُدنّسه اليهود في هذا المسجد ، دخولاً مناظراً للدخول الأوّل ، ودليلنا كما قلنا هو التناظر التامُّ بين ركني الصورة القرآنيّة المصوّرة لهذا الدخول ..

﴿ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ ﴾ = (١٤) حرفاً مرسوماً

﴿ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ = (١٤) حرفاً مرسوماً

.. والآية الأخيرة من النصّ الذي ننطلق منه في التنبّؤ بنهاية هذا الكيان ، تؤكّد هذا التدمير ، وأنهم سيُدمَّرون من جديد فيما لو عادوا لإفسادهم في هذه الأرض المقدسة بشكلٍ خاصٍّ ، وفي الأرض بشكلٍ عام ..

﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴾ [الإسراء : ٨]

.. ولو عدنا إلى النصّ القرآني الذي يُصوّر إفسادهم ونهايتهم [من الأيــة (٤) إلى الآية (٨) في سورة الإسراء] ، فسنرى أنّه مكوّنٌ من : (٧٥) كلمة ..

﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٥ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝٦ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ۝٧ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴾ [الإسراء : ٤ - ٨] = (٧٥) كلمة ..

.. وقد بيّنا في النظرية الأولى (المعجزة) أنَّ مجموع كلمات النصّ القــرآنيِّ الــذي يصف مسألةً ما ، يرتبط ارتباطاً تامّاً بجوهر المسألة التي يصفها هذا النصّ .. فهل يشــير مجموع كلمات هذا النص (العدد ٧٥) إلى مجموع سني لبث هؤلاء المفسدين في الأرض المقدسة ؟ .. الله تعالى أعلم ..

.. وداخل هذا النصّ نرى صورتين قرآنيّتين تُلقي كلٌّ منهما الضوء على إفسادٍ مــن إفسادي بني إسرائيل في الأرض ، ونرى أنهما متناظرتان تماماً ، فكلٌّ منهما مكوّنة مــن (٧٥) حرفاً مرسوماً ، وقد رأينا كيف أنّ هذا العدد (٧٥) هو ذاته العدد الذي يشير إلى مجموع كلمات النصّ الذي انطلقنا منه في تنبئنا ...

﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴾ = (٧٥) حرفاً مرسوماً ..

﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ لِيَسُـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴾ = (٧٥) حرفاً مرسوماً ..

إذاً الصورة القرآنيّة المصورة لإفسادهم الأوّل تتكوّن من (٧٥) حرفاً مرسوماً ، والصورة القرآنيّة المصوّرة لإفسادهم الثاني ، والأخير من حيث امتداده على كامل الأرض ، والمشير إلى اقتراب الساعة ، تتكوّن أيضاً من (٧٥) حرفاً مرسوماً ، والنصّ القرآنيّ الذي يصف هذه المسألة ، يتكوّن أيضاً من (٧٥) كلمة ..

.. لقد بيّنا في النظريّة الأولى (المعجزة) ، أنّ مجموع حروف الجمل القرآنيّة لبعض النصوص يُشير إلى مجموع سنين ، وأكبر دليلٍ على ذلك أنّ سورة نوحٍ عليه السلام تتكوّن من (٩٥٠) حرفاً مرسوماً ، وهذا ما يوافق تماماً المدّة الزمنية التي بيّنها لنا كتاب الله تعالى بقوله : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ١٤].. وبيّنا أيضاً أنّ مجموع كلمات النصّ القرآني يشير أحياناً إلى مجموع وحدات زمنيّة ..

.. وإن افترضنا فرضاً لا نجزم به ، أنّ العدد (٧٥) يُشير إلى وحدات زمنية هي السنين .. إن اعتبرنا ذلك اعتباراً لا نجزم به .. فهل سيتمُّ الفتح عام (٢٠٢٣) ميلادي : [١٩٤٨ + ٧٥ = ٢٠٢٣] حيث سنة (١٩٤٨) أعلنوا فيها إنشاء كيانهم ؟ .. أم سيتمّ الفتح عام (٢٠٤٢) ميلادي : [١٩٦٧ + ٧٥ = ٢٠٤٢] حيث دخلوا المسجد الأقصى سنة (١٩٦٧) ؟ .. أم أنّ العدد (٧٥) يتعلّق بأمرٍ آخر لا علاقة له بمدّة إفسادهم ؟ ..

.. الشيء الوحيد الذي نستطيع أن نجزم به هو قولنا : الله تعالى أعلم .. وهذه النبوءة لا يمكن أن تكون عامل اتّكالٍ وتقاعسٍ عن الجهاد (كما يتوهّم بعضهم) ، بمقدار ما تكون حافزاً للشهادة وباعثاً للأمل .. فمن يؤمن بالقرآن الكريم وبأسراره الإعجازيّة ،

يعشق الشهادة في سبيل تحرير المقدّسات التي اختارها الله تعالى معياراً لإسلام أفراد هـــذه الأمة ..

﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ [البقرة: ١٤٣]

.. فبالنظر إلى هذا النصِّ من المنظار المجرّد عن التاريخ والزمان والمكان ، وعلى أنّه – كأيِّ نصٍّ قرآنيٍّ – صالحٌ لكلِّ زمانٍ ومكان ، وله حيثيات اتّباعٍ وتدبّرٍ في كلِّ زمانٍ ومكان ، يتبيّن لنا أنّ القبلة الأولى ﴿ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾ هي امتحانٌ للمسلمين ، ليشهد الله تعالى من يتّبع الرسول وذلك بالدفاع عنه ، ممن ينقلب على عَقِبَيه وذلك بالتقاعس عن الجهاد في سبيل تحريره ..

.. فالمسجد الأقصى كان معياراً لإسلام أفراد الجيل الأول حينما حُوِّلت القبلة منه إلى المسجد الحرام ، وهو الآن معيارٌ لإسلام أفراد هذا الجيل ، وذلـــك بالجهـــاد لتحريـــره وتطهيره وكامل الأرض المقدّسة من دنس اليهود ..

.. درعا .. عام : ١٩٩٣ م ..

المهندس عدنان الرفـــاعي